تاريخ سجن ونفي وأسر نابليون

بقلم

المؤرخ الشهير جرجي افندي بني الطرابلسي

منشئ مجلة المباحث الغراء

(عنى بطبعه)

يوسف البستاني

(نقل عن « الجنان » باجازة المؤلف)

﴿ حقوق الطبع محفوظة لطابعه ﴾

﴿ كل نسخة غير مختومة تعد مسروقة ويحاكم صاحبها وبائعها ﴾

« الطبعة الأولى »

(سنة ١٩١١ م ـ سنة ١٣٢٩ هـ)

طبع بمطبعة المجالية - بمصر

(الكائنة بحارة الروم بعطفة التترى)

(لاصحابها محمد أمين الخانجي وشركاه ـــ وأحمد عارف)

مقدمة الطابع

نشر هذا التاريخ في مجلة (الجنان) تباعا بقلم المؤرخ الشهير جورجي أفندي بني الطرابلسي منشيء مجلة المباحث الغراء ومؤلف كتاب (تاريخ سوريا) وقد بحثت كثيراً عن تاريخ باللغة العربية يصف حقيقة تلك الحرب التي شبت نيرانها بين الفرنساويين والالمانيين سنة ١٨٧٠ فلم أجد غير جمل وشذرات مدرجة ببعض المجلات السيارة فوجدت أن هـذا لا يكفي ولا يفي بالمرام فأرسلت أطلب التصريح من حضرة المؤلف لاطبعه على حدة وسرعان ما أجابني بالتصريح والاذن بطبعه وها أنا أقدمه للقراء الكرام وعلى الله الاتكال ؟

يوسف توما البستاني

القاهرة في ١٥ أغسطس سنة ١٩١١

مقدمة

لما كان التاريخ من أنفع العلوم التي يرتاح اليها الطبع البشرى وكانت الحرب الاخيرة التي شبت نيرانها سنة ١٨٧٠ و ١٨٧١ بين فرنسا والمانيا من الحروب التي يهم كل انسان الوقوف على حقيقتها وعلى الخصوص بعد أن يكون قد طالع ماجريات الحرب الغير الواضحة الاسباب والمصادر كان من الامور الضرورية تقرير ذلك التاريخ معتمدين بالاكثر على جريدة انكليزية شهيرة تدعي البانتلانز جورنال تطبع في مدينة لندرة وقلت في نفسي عند الشروع فى هذا العمل ان اصبت فرمية من غير رام وان اخطأت فلمثلي الخطأ وللكرام المعذرة

اسباب الحرب

انه يقتضي قبل الشروع في تقرير تاريخ هذه الحرب المهلكة ان نوضح أسبابها وتفاصيل مصادر العدوان التي طالما اختلجت فى صدور الفرنساويين والالمانيين فنقول : انه لو فتح الانسان كتاب رسم الارض لرأي ان أكبر قسم من الجهة الشمالية الغربية من قارة أوربا يسكنه أمتان مختلفتان وهما الامة الفرنساوية أي الغالية والامة الالمانية أي التوتينية ومع ان بلاد المانيا كانت منقسمة الى ولايات وحكومات مستقلة كانت متحدة بعلاقات المحالفة الحقيقية المسماة بالاتحاد الالماني وكانت تبادر الى التحالف والتعاضد عند ماترى ضرراً ألم بالامة أما كيفية المساعدة والنجدة فهى بالنسبة الى عدد

سكان كل قسم واتساعه . اما أوستريا وهي النمسا التي كانت لها ولبروسيا السطوة على بقية الممالك المتحدة كالسبورج وسا كسونيا وغيرهما فكانت رئيسة هذا الاتحاد وأما عوائدهم فكانت واحدة ومع ان الخاصمات بينهم كانت كثيرة فانهم يعتبرون أنفسهم عائلة واحدة وكانوا منذ أوائل القرون المتوسطة أعداء لجيرانهم الغاليين أي الفرنساويين

أما مسئلة الحدود فطالما كانت موضوعا للمنازعات والخصومات التي كانت تقع بين الامة الالمانية ومجاوريها وكثيراً ما حملتهم على القتال . اما انكلترة فتخلصت من تلك المنازعات منذ اتحدت مع اسكوتلندا ذلك الاتحاد السعيد لان حدودها قد أصبحت حدوداً طبيعية فاصلة وهي البحر واذا طالعنا رسم الارض نرى ان الحدود التي بين فرنسا وايطاليا وبينها وبين اسبانيا هي حدود واضحة وهي سلسلة جبال غير انه مامن حدود طبيعية بين فرنسا والمانيا كتلك الحدود . ولقد ادعى الالمانيون ان الرين نهر ماني ولانقدر ان نقول ان هذه الدعوي صحيحة لان النهر لايخرج من البلاد الالمانية ولايصب فيها فاتي ذلك بحروب شديدة اما الفرنساويين فاستولوا علي مقاطعتي الالزاس واللورين وكانتا للالمانيين وعلى قسم كبير من الالزاس وهو في الجهة الغربية من الرين وكانت الامة الالمانية ترغب كل الرغبة في ارجاع البلاد علي ان أهالي الولايتين قد اكتسبوا بتمادي الايام العواطف والاميال الفرنساوية مع انهم لايزالون يتكلمون لغتهم الاصلية وهي الالمانية وكانوا يكرهون الانضمام الي المانيا ولم تتمكن المانيا من ارجاع الولايتين قبل الحرب الاخيرة . اما بروسيا فكانت تؤمل ان المانيا تعضدها في الحصول على ماطالما صبت اليه فصادف أملها نجاحاً باتحاد الامة الالمانية مصدر العدوان بين الامتين وعلى الخصوص بين فرنسا وبروسيا

ولايخفى ان الاكتشافات التي تمكن الانسان منها بواسطة العلوم وعلي الخصوص استنباط السلك البرقي والوسائط التي سهلت الانتقال وحضور رجال من أهل الدراية والحذق في ميادين القتال ليكتبوا الحوادث مكنتنا في هذه الايام من الوقوف

على مالم يتمكن أسلافنا من الوقوف عليه في زمانهم عند ما كانت تشب نيران الحروب ولكنهم كانوا يقفون على بعض حقائقها بعد أن تكون قد ضعفت رغبتهم في الوقوف عليها و بناء على ذلك نقول اننا نكاد نؤكد انه عند ماانتصر الفرنساويون سنة ١٨٠٦ للميلاد فى معركة جينا عاملوا البروسيانيين معاملة قاسية و وحشية كالمعاملة التي يقول الفرنساويون الآن ان البروسيانيين قد عاملوهم بها في هذه الحرب الاخيرة اذا لم نقل انها كانت أشد منها ولذلك هجم البروسيانيين على باريز وهكذا تمكن البروسيانيين من أن يقوموا بحق ثأرهم بنوع اخذ بعض ما كان عندهم من الرغبة في الانتقام

وكانت الامتان تنتهزان كل فرصة تمكن الواحدة من الاخرى لان بروسيا لم تكتف بما تمكنت منه من الانتقام لان الدول التي كانت متحدة معها كانت تمنعها عن تنفيذ كل مآربها كما ان فرنسا طالما كانت ترغب في رفع العار الذي لحق بها بسبب انكسار جيشها في واترلو ودخول الاعداء الى عاصمتها . هذا وكان الفرنساويون يبغضون الانكليز كما كانوا يبغضون الالمان ودام هذا البغض والميل الى أخذ الثار الى ان اتحدت الامتان في حرب القريم

اما عداوة الفرنساويين للانكليز فلم تكن كعداوتهم للبروسيانيين لان القائد الانكليزي والتون كان قد شدد الاوامر لمنع الجنود عن اساءة معاملة الفرنساويين وكان يعاقب بكل صرامة كل من أساء معاملتهم أو معاملة الاهالي بالسلب والنهب وغير ذلك اما القواد البروسيانيين فلم يكتفوا حينئذ بان يرخصوا لجنودهم باساءة معاملة الفرنساويين ولكن المسموع ان بلا ستار نفسه وهو قائدهم لم يمنع الجنود عن نهب شيء له ولا يخفى ان البروسيانيين كسروا الفرنساويين شر كسرة في معركة واترلو وتبعوهم وقتلوا منهم كثيرين وكان نابوليون الاول يعرف حق المعرفه انه لو سلم نفسه للبروسيانيين بعد تلك المعركة أو لغيرهم من المتحدين معهم خلا الانكليز لقتلوه انتقاماً و بما اننا قد قررنا مما يبين العدوان الذي طالما كدر العلاقات الممتدة بين فرنسا و بروسيا

سنبادر الى تقرير ما كان سببا لفتح هذه الحرب الاخيرة فنقول :

الاتحاد الالماني وحرب الدانمرك

كانت الامة الالمانية راغبة جدا في ان تتحد كلها معا وذلك لانها كانت تعرف ان اتحاد كل ممالكها الاولية والثانوية معا يقويها جدا ويمكنها من دفع كل الهاجمات التي ربما كانت تطرأ عليها من الخارج وعلى الخصوص من فرنسا . على ان الذي أعاق اتمام أمر هذا الاتحاد سنين كثيرة بعد صلح سنة ١٨١٥ الميلادي كان ميل دول المانيا الثانوية وأمرائها الصغار الى المحافظة على استقلالهم مع ان كثيرين من الامة الالمانية وغيرها كانوا يرغبون جدا في اتمام هذا الاتحاد . ومعلوم ان الفرنساويين كانوا يضادون ذلك كل المضادة وكانوا ينظرون بعين الحسد الى كل ما من شأنه تقوية المانيا بذلك الاتحاد وربما كان ذلك الاتحاد مما لا يتم أبدا لو لم تبادر بروسيا الى السلوك في السبيل الذي وصل بها اليه بواسطة اشهار الحرب على الدانمرك سنة ١٨٦٤ لتأخذ منها مقاطعة الشالسويك والهولستين التي كانت تدعي انها من المانيا وليس المقصود ان نقرر هنا ما بعده البعض عارا على انكلترا وهو تمنعها عن ان تتداخل بالقوة لتساعد الدانمرك غير اننا نقول انه لو تداخلت حينئذ انكلترا وفرنسا ربما كانت أحوال هذه الايام على غير ما هي عليه الآن

وهكذا شرع البروسيانيون في المسير في سبيل مرغوباتهم بدون ان يصادفوا معارضة وفي مدة قصيرة نالوا ما كانوا يرغبون به مع ان الدانمركيين دافعوا حق الدفاع . فتبين حالا ان حرب الدانمرك انما هو ابتداء أعمال بروسيا فكانت كأنها الهجمة الاولى لجبهة اتحاد المانيا الذي كان يتبين انه لا يمكن الوصول اليه بوسائط سلمية

وبعد حرب الدانمرك انفتحت حرب بين بروسيا والنمسا سنة ١٨٦٦ وكانت النمسا

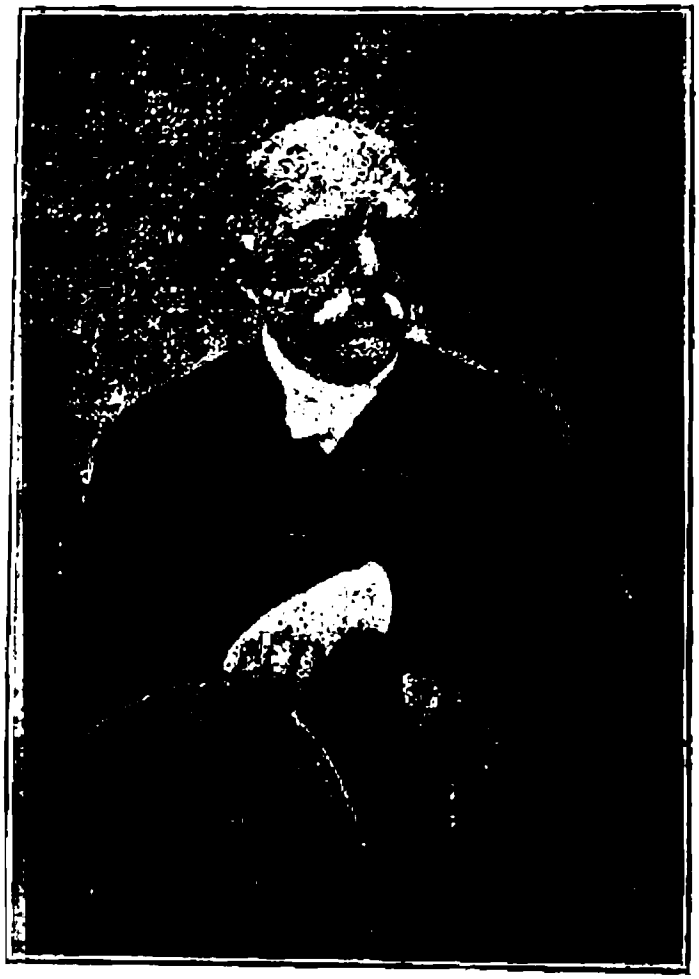

البرنس بسمارك آخر رسم له

قبل تلك الحرب الدولة الاولى في الاتحاد الالماني ولما رأى العالم ماراًى من سرعة انتصار بروسيا وتغلبها تغلبا تاما على عدوها وقف متعجباً وكان أكبر أسباب هذا النصر البنادق التي كانت للبروسيانيين ولم تكن للنمساويين وكان هذا الانتصار البديع مجلبة للكدر والغيظ في فرنسا فان امبراطورها وزراءها كانوا غير قادرين ان يكتموا ماخامرهم من الحسد من جراء تعاظم قوة بروسيا تعاظما سريعاً جداً حتى انه ربما كانت فرنسا أشهرت الحرب على بروسيا لو لم ترض فرنسا ان تجعل المعاهدة المسماة بمعاهدة براك المعقودة لجهة انشاء اتحاد جديد في المانيا معاهدة تقيم اتحادا بين الممالك الالمانية الشمالية بدون الممالك الالمانية الجنوبية التي صار القرار ان تقيم اتحادا وحدها

وهكذا كان الامبراطور نابوليون يؤمل بانه يتمكن من اضعاف قوة المانيا بانشاء اتحادين ماسانيين الواحد في الشمال والآخر في الجنوب عوضاً عن انشاء اتحاد ماني واحد فان الامبراطور نابوليون كان يخاف جدا من تمكن المانيا من الاتحاد

غير ان الظاهر ان الامم في هذا العصر تعتبر المعاهدة كما تعتبر أوراقا خالية من كل نفع فانه بعد ذلك بزمان طويل حاول البرنس بسمارك التخلص من بعض شروط تلك المعاهدة اذا لم نقل انه خرق بعضها خرقا تاما فانه بحذقه السياسي عقد عهودا مع الممالك الالمانية الجنوبية مآلها انه اذا وقع اختلاف بين بروسيا وغيرها من الدول باعث الحوادث الاخيرة تكون كل قوات الدول الجنوبية الالمانية خاضعة لأوامر ملك بروسيا وقد قال قوم بتأكيد مستند الى مايحملنا على تصديق ذلك القول : ان بروسيا نكثت الوعد الذي كانت قد وعدت به فرنسا في نفس ذلك الزمان . وهكذا نرى انه يسوغ لفرنسا ان تشكو من سوء تصرفات بروسيا اذا لم نقل انه يسوغ لها ان تفتح الحرب عليها

وفي السنة التابعة التي هي سنة ١٨٦٧ للميلاد وقع نزاع جديد بسبب اقامة بروسيا في لكزمبورج ولولا مداخلات انكلترا لانشبت الحرب بين الامتين على انه صار

تسوية الامر في الجمعية الدولية التي عقدت في لندرا في تلك السنة . وهكذا صار اتحاد نيران الحرب التي كادت تشب في ذلك الزمن اتحادا وقتيا لكن بعد السياسة مترها بدون ان يطفئها فكانت كأنها مؤجلة بموجب سياسيتها كانت ضيقة الشعب بوبا يرافق استعدادها فبات جميع الذين يهتمون بسياسة أواسط أوربا متوسطين وقوع قتال بين بروسيا وفرنسا في زمان مستقبل وكانوا يعرفون انهم اذا منعوا حدوث الحرب اليوم فسيحدث ما يتيمها في الغد . ولذلك كان قصارى اجتهاد الدولتين معمر وها في سبيل تقوية قواتهما الحربية واصلاح كل ما يلزم الاصلاح منها بحيث أضحت ذات قوة فتاكة في ساحة القتال . اما نجاح كل منهما في هذه الاعمال أو عدمه فهو ما قد قامت باظهاره حق القيام الحوادث المتأخرة فانها قد أوضحته للعالم باجلى بيان

هذا ومن الامور المقررة ان تأهب الدول للحرب يمنع حدوثها كما يمنه تركها للاسلحة وقد أجمع القوم على ان الذي كان يؤخر فرنسا وبروسيا عن أن يقيما القتال بينهما قبل أن اقاماه في السنين الاربع أو الخمس السابقة للحرب ليفصلا بحكم السيف المنازعات الكثيرة والمتصلة التي كانت واقعة بينهما هو معرفة فرنسا وبروسيا بان كلا منهما مستعدة حق الاستعداد لدفع مهاجمات الاخري . وهذه هي ظروف الحال التي كان يراها أهل السياسة في أوائل سنة ١٨٧٠ وكان يظهر ان دوام السلام أو شبوب نيران الحروب كانا متوقفين على ارادة أحد رجلين كان لكل منهما سلطان كاف ليحمل أمتين عظيمتين على الغوص في بحار الويلات بمجرد التلفظ بكلمات قليلة وربما اتسع الامر وحمل أوربا على الاشتراك في ويل مامثله ويل وهذان الرجلان هما الامبراطور نابوليون الثالث والبرنس بسمارك لانه مع ان الملك غليوم البروسياني هو ذو حذق ويعرف الفنون الحربية حق المعرفة ويعتقد بانه هو الذي وهبه الله سبحانه وتعالى حق الملك نرى ان البرنس بسمارك هو بدون ريب الذي يحق له أن يسمي حاكم بروسيا المطلق (اكتيتور)

— فرنسا أيام نابوليون الثالث —

كان نابوليون الثالث يقول منذ تبوأ تخت الامبراطورية الفرنساوية « ان الامبراطورية انما هي السلام » ومايأتي هو حرفيتها في اللغة الفرنساوية :

(L'empire C'est La Paix) ومع ان قوماً من الذين ينشرون الكتابات الهزلية والاستهزائية قد حرفوها بما يأتي (L'empire C'est La L'épée) ومعناه « ان الامبراطورية انما هي السيف » والفرق انما هو في اللفظة الاخيرة كما يتبين لمن يعرف اللغة الفرنساوية فان لا بي هو السلام وليبي هو السيف نرى ان اجتهادات الامبراطور نابوليون كانت مصروفة في سبيل المحافظة على السلام وانه في مدة امبراطوريته التي هي ١٨ سنة لم يقم حرباً مالم تسقه الي قيامها ظروف الاحوال على رغم أنفه غير انه ربما كان مصدر بعض هذه الظروف مراعاة الصوالح الخصوصية. والظاهر ان مقصده كان توطيد أركان دولته بواسطة تنجيح أحوال فرنسا الداخلية بزيادة مداخيلها وتوسيع دائرة تجارتها الداخلية والخارجية وترقية أسباب سطوتها وبزيادة محاسن باريز وغيرها من المدن الكبيرة وليس باستجلاب المجد الذي كلف فرنسا خسائر كثيرة بواسطة اجراآت عمه نابوليون الاول ومن الامور المؤكدة انه قد صرف جهده أكثر من مرة في سبيل حفظ علاقات الوداد والسلام بين انكلترا وفرنسا وذلك خلافاً لاراء أعوانه الحربيين لان اراءه هي كاراء التجار وأصحاب الصنائع الذين يحسبون الحرب خراباً لهم . غير انه صار القبض على زمام الامبراطورية بالسيف والجنود الذين كانوا يعضدون تختها فقد صح فيها ما قيل عن غيرها من انها سقطت بالسيف غير ان ذلك السيف كان أجنبياً وهو السيف الذي لم يكن نابوليون الثالث يخافه بقدر ما كان يخاف سيف العصيان الداخلي

ومع ان الاحوال كانت في اضطراب في أوائل سنة ١٨٧٠ مضي نصف السنة

بدون أن يتكدر السلام وفي أوائل شهر تموز (يوليو) تبين للعالم ان أكثر الصعوبات والمشاكل التي كانت تكدر راحة أوربا منذ زمان ليس بقصير قد أمست مقضوضة فكان العالم يظن ان السلام قد غلب الحرب وان السلح مسود بين أمم أوربا مع انه كان قد بات عرضة للتبديد زماناً طويلاً فان هذا الهدو انما كان كالهدو الذي يسبق الاضطراب في الانحاء القطبية فان انواء الحروب التي كانت قريبة الظهور ظهرت بعنف شديد وأضرت بالعالم ضرراً لم يقدر نظيره في أخبار القرون الحديثة مع انه المحرك الذي حرك ذلك الشر العظيم في أواسط أوربا وأتي بذلك الغيم الكثيف الذي حجب شموس السلام

— البرنس ليوبولد وتاج اسبانيا —

ومعلوم انه منذ حدوث الثورة في اسبانيا سنة ١٨٦٨ التي حملت الشعب على خلع ملكتهم أمست تلك المملكة بلا ملك وكان الجنرال بريم الاسبانيولي العسكري قد صرف أقصى جهده ليتمكن من اقامة ملك ليجلس على عرش ملك بلاده تكون به الاهلية اللازمة وكان هذا الجنرال قد ارتقى اليها بالاهلية الى المراتب العليا التي كان قد ارتقى اليها وكان أمينا يفضل صوالح وطنه على صوالحه الخصوصية لانه رفض ان يتبوأ هو ذلك التخت الذي كان قد عرض عليه القوم ان يتبوأه ومع ان أول أمره كان نجاحا وتوفيقاً كان آخره هلاكا لانه لم يتمكن من الوصول الى مرغوبه حتى قتله غدرا رجل نذل وهكذا مات شهيد حبه لوطنه وغيرته على أهله وكان هذا الجنرال قد عرض تاج المملكة الاسبانيوليه التي كان نائبا لملكها بامر المجلس العالي على أكثر من رجل واحد من العيال الملوكية غير انه لم يجد منهم من كان يرغب في قبول هذه العطية الفاخرة لأنهم كانوا ناظرين الاتعاب التي كان يتكبدها الملوك الاسبانيوليون في هذه

السنين الأخيرة وهكذا بات تاج اسبانيا التي كانت قبلا أقوى ممالك أوربا واغناها يتسول ملكاً من عيال ملوك أوربا بدون ان ينال مطلوبه وذلك كما كانت مملكة اليونان تسأل ملكا منذ بضع سنين وفي نهاية الامر سر جدا الجنرال بريم لما رأى ان البرنس ليوبلد من عائلة الهوهنزلرن السكسار نجن الالمانية قد قبل ان يلبس تاج بلاده وكان هذا الجنرال يعتقد ان قبول هذا البرنس تاج اسبانيا يأتيها بنفع كثير وكان لذلك البرنس من السن ٣٥ سنة فقط وهو ابن البرنس هو هنزلرن البكر وهذا البرنس أي ابو البرنس الذي قبل تاج اسبانيا كان قد وهب ملك بروسيا حق الرياسة على بلاد كان مسودا عليها والظاهر ان الجنرال بريم كان يعتقد ان البرنس ليوبولد المشار اليه هو من الذين يوافق البلاد ان تكون تحت سيادتهم الملوكية وكان هذا البرنس قائدا في جيش بروسيا وكان متزوجا بشقيقة ملك البرتغال على ان نابوليون الثالث وأكابر الامة الفرنساوية كانوا ينظرون الى هذا الامر من جهة أخرى

هذا وكانت بروسيا منذ بضع سنوات سالكة مسلكا يمكنها من ان تعظم وتوسع دائرة مملكتها وسطوتها وكانت قد أدركت من القوة الدرجة التي طالما صبأ أكابرها الى ادراكها مع ان غيرهم كانوا يعتقدون ان ذلك من الاحلام الباطلة حتى انها حركت في الامة الفرنساوية من الغيرة ما كانت تلك الامة غير قادرة ان تحتمله علاوة على العداوة التي كانت تكدر علاقات الامتين الودية نظرا للاسباب التي قد قررناها وهذا العمل الاخير أي اقامة البرنس ليوبولد ملكا لاسبانيا الذي كان يقول الفرنساويون انه صادر عن الطمع كان سببا لشبوب نيران الحروب التي كانت مشتعلة بين الامتين منذ زمان طويل ولكنها كانت مغطاة برماد السياسة لان الفرنساويين كانوا لا يطيقون ان يتصوروا ان رجلا من اخصاء ملك بروسيا سيتبوأ تخت مملكة اسبانيا فيصير رجل من الجنس التوتوني ملكا على أمة لاتينية وكان الفرنساويون يعتقدون ان ذلك يخل بميزانية القوة في أوربا ويمكن الامة الالمانية التي كانوا يقولون انها

كانت بلغت من العظم درجة مغمرة من وجهان في القوة بحسب جداولنا رأى ابو البلطر فرنسا ما رأى من ذلك المثال وكان مستيقظاً جداً ويتجنب فتح حرب على المانيا لانه كان يعرف أكثر من أعوانه الخبر الثيقنين ان لالمانيا قوة غفيرة أسس بناءها عظيم وكان يقول ان ذلك انما هو صادر عن تكبر المانيا وتعديها مع انه معلوم انه يسوغ ان يقال انه يحق لاسبانيا ان تنتخب لنفسها الملك الذي تحب ان يكون ملكاً عليها

وفي ٦ تموز (يوليو) سنة ١٨٧٠ الميلادية بلغ وزير خارجية انكلترا خبر هذه الحوادث وكان قد شاع في باريز ان البرنس ليوبولد قد قبل ان يتبوأ تخت اسبانيا في ٤ الشهر المذكور أي قبل ان بلغ الخبر وزير خارجية انكلترا بيومين ولما شاع هذا الخبر في باريز حدث هيجان شديد واضطراب كثير وفي ٥ من الشهر تأكد ذلك الخبر وفي ٦ منه قال الدوق دوكرامون وزير خارجية فرنسا في المجلس القضائي في باريز ان الحكومة الفرنساوية لا تقدر أن تسلم بأن تحمي صوالح فرنسا وتاموسها بمقاومة وميزانية القوة في أوربا قد وقع فيها خلل بواسطة تبوء برنس من العائلة الهوهنزلرنية تخت اسبانيا

وكان كلام الدوق كلاماً صادراً عن مسند ذي سلطة وكان مآله مهيجاً للميدان ويحمل فرنسا على أن تسلك في سياستها مسلكاً مكدراً للسلام حتى انه تبين ان الحرب قريبة وتبين أيضاً ان أمر انتخاب البرنس المشار اليه ليتبوء عرش اسبانيا كان موضوعاً للتبصر قبل ذلك بسنة أي منذ ربيع سنة ١٨٦٩ وكانت وزارة خارجية انكلترا تجهل ذلك كل الجهل وكانت الحكومة الفرنساوية قد أمرت المسيو بنديتي سفيرها في برلين ان يقول للبرنس بسمارك وزير المانيا الشمالية الاول ان فرنسا لا تقبل أبداً بان يتبوأ برنس المانى تخت مملكة اسبانيا ويقال ان البرنس بسمارك أجاب حينئذ ان ذلك لم يخطر أبداً لبروسيا ببال وان ذلك هو من الامور التي لا يمكن حدوثها وقال غير بسمارك من المأمورين الكبار البروسيانيين لسفير فرنسا قولاً يؤكد عدم صحة ما كان قد بلغ الحكومة الفرنساوية وهكذا انقطعت المخابرات بهذا الشأن

هذا ولا يخفى ان أموراً كثيرة تجري بين رجال السياسة بدون أن يتمكن العالم من معرفتها غير انه لاريب ان بروسيا كانت تعلم ان قبول برنس المانى بان يتبوأ عرش اسبانيا يكون سبباً لشبوب نيران الحرب بينها وبين فرنسا وان حكومة المانيا تظاهرت بما دل على انها كانت تسخر بذلك حال كونها كانت تضمره

ومع ان الامر بلغ درجة حملت العالم على ان يعتقد انه مامن مهرب من الحرب اقتنعت الدول التي كانت مقيدة على الحياد ملك بروسيا بان لا يسعف البرنس ليوبلد على ذلك وهذه الدول أفرغت الجهد قبل فتح الحرب في ان تمنع حدوثها حتى ان المسموع ان ملكة انكلترا بعثت الى ملك بروسيا مكتوباً كتبته بيدها طالبة اليه أن يمنع البرنس ليوبلد عن قبول ذلك التاج ولما رأى أبو هذا البرنس ان ملك بروسيا قد أجاب طلب الدول المتحايدة وتنحى عن مساعدته أشار الى ابنه أن يمتنع عن قبول التاج بعد ان كان قد قبله وهكذا توطدت آمال الامتين اللتين كانتا تنتظران بقلب خفوق النتيجة بدوام السلام بعد ان كانتا تتأكدان حدوث الحرب

وفي ١٢ تموز (يوليو) اعلن رسمياً انه بواسطة تداخل ملك بروسيا تمنع البرنس ليوبلد عن أن يقبل تاج اسبانيا ولكن لما رأت حكومة فرنسا ان هذا الاعلان لا يخلو مما يسوغ لها ان تحسبه مواربة وكتمان الحقيقة وعلى الخصوص لان مصدره هو البرنس بسمارك الجامع بين الملق والدراية والحيل السياسية طلبت ماطلبت ولذلك اذا نظرنا الى الامر نظراً خارجياً نرى انه مامن مسوغ يسوغ لفرنسا ان تطلب الى المانيا ماطلبه سفيرها الموسيو بنديتي في ١٣ من الشهر المذكور وهو أن تضمن لها ان أميراً المانيا لا يقبل أن يملك في اسبانيا في المستقبل غير اننا اذا أمعنا النظر في الاحوال التي كانت جارية تعذر فرنسا في الحاحها على بروسيا الحاحاً لا يخلو مما كان يجب أن تتجنبه لولا الظروف التي ذكرناها والمظنون انه لو طلبت فرنسا الي بروسيا ما طلبت بنوع خال مما ربما اعتبرته بروسيا اهانة وكان الامبراطور نابوليون وملك بروسيا راغبين حق

الرغبة في منع حدوث الحرب لو بما كانا تمكنا من تسوية هذا الامر بنوع مرض الدولتين اللتين كانتا قد اغتاظتا مما كان قد حدث غيظاً هيجا وما نعا الحكمة وسمة الصدر والتأني حتى ان الهيجان الحاضر أعمى القوم عن النظر الى سوء عواقب المستقبل وهو انه وطلبت فرنسا ماطلبت واجابتها بروسيا ما أجابت بنوع منعهما عن ان يرجعا عن المركز الذي أخذاه في مخابراتهما المذكورة

هذا وقد طلب المسيو بنديتي سفير فرنسا في برلين الى ملك بروسيا ما طلب لما كان هذا الملك يتنزه في متنزه أيمس العمومي وهو مكان جميل وبهج جدا فيه مياه جارية وكان ملك بروسيا يأتي ذلك المكان ليصرف بعض أيام من فصل الصيف فيه ولما أتاه السفير المشار اليه كان يتمشى تمشي متنزه في ذلك المكان وكان يكلم بعض أعوانه كلام حظ وتقدم اليه تقدم جسور والظاهر أنه لم يلاحظ عادة القوم فيما يتعلق بالدخول على الملك ولما دنا منه أعطاه التحرير وطلب اليه أن يجيبه في تلك الساعة عن طلب فرنسا .

وكان الملك يعتبر أن المسيو بنديتي السفير فعل مافعل قاصدا اهانته فغضب من ذلك ومع ذلك أخفى غضبه غير أنه رفض أن يجيب طلب فرنسا أي أنه رفض أن يتعهد لها بأنه ما من أمير ألماني يتبوأ تخت ملك اسبانيا في المستقبل وقال ان تصرفه في المستقبل انما يكون بحسب اقتضاء الظروف وعند ما شرع المسيو بنديتي بلجاجة غير اعتيادية ومجاوزة لحدود الاعتدال في أن يلح في الطلب على الملك ليجيب طلب فرنسا قال له الملك طالباً اختصار الحديث بعد أن مال عنه انه من اللازم أن يصير تبليغه كل المخابرات المتعلقة بذلك في المستقبل بواسطة وزارته .

واذا اعتبرنا الواقع نقول انه صار اشهار الحرب في ١٣ تموز (يوليو) سنة ١٨٧٠ الميلادي في ذلك المتنزه الجميل في أيمس لأن الجميع كانوا يعرفون انه ما من أحد من الفريقين أي حكومة فرنسا وحكومة بروسيا يقدر أن يرجع عن مركزه بدون أن يحسب رجوعه اهانة . هذا

المسيو بنديتي يخاطب ملك بروسيا في منتزه ايمس العمومي

البرنس بسمارك

وقد طلب موسيو بنديتي أكثر من مرة بعد ذلك أن يسمح الملك له أن يقابله ولكن الملك كان يرفض أن يجيب طلبه .

ولما بلغ جواب ملك بروسيا باريز غضبت غضباً شديداً وكان المسيو بنديتي قد طلب أن يرخص له بالخروج من برلين عاصمة بروسيا ونال الرخصة المطلوبة وكذلك طلبت حكومة فرنسا الى البارون وارثر سفير ألمانيا في باريز أن يرجع الى وطنه وقيل انه ورد تحرير من باريز الى البرنس بسمارك مآله أن يعتذر ملك بروسيا الى فرنسا عما صدر منه من عدم الالتفات الى سفيرها وأن البرنس بسمارك لم يعرض هذا التحرير على الملك لأنه ظن انه طلب مضحك لا يليق تبليغه الى الملك ولا يخفى أنه يصعب تصديق هذا الخبر والمرجح انه كذب .

— اعلان الحرب —

هذا وعندما انتشر خبر تمنع البرنس ليوبلد هوهنزلرن عن قبول تاج اسبانيا ارتفعت جداً أسعار قراطيس فرنسا المالية بعد أن كانت قد نزلت كثيراً عند ما كان العالم منتظرا شبوب نيران الحروب وعند ما بلغ أهالي باريز خبر نتيجة مقابلة سفير فرنسا لملك بروسيا في ١٣ تموز (يوليو) نزلت أسعارها كثيرا وفي ١٦ من الشهر المذكور أعلنت دولة فرنسا رسمياً اشهارها الحرب على بروسيا على أن هذا الخبر لم يبلغ برلين الا في ١٩ من الشهر المذكور .

ولما انتشر الخبر في باريز هاجت وماجت وطلب البعض الانتقام بصوت عال وهيجان مخل وكانت الجماهير تجتمع في محلات الاجتماعات العمومية وفي الشوارع وكثر ازدحام الذين كانوا يطلبون قيام الحرب حتى أنه بطل البيع والشراء الاعتيادي في الاسواق وكانت الجموع تصرخ قائلة « فليحيي الامبراطور فلتعش فرنسا » هلموا الى

برلين »وكانت شوارع باريز غاصة من جراء كثرة ازدحام الاهالي الهيجين وكانو يغنون ليلا ونهارا بدون انقطاع أغنية المارسيليز التي كانت الحكومة قد منعتها لانها مهيجة وكانت الجموع تجتمع منتظمة وتنشر الرايات بعد أن تكتب عليها كتابات حربية مهيجة ونشروا منها في كل المحلات العمومية وعلى الخصوص امام منزل سفير بروسيا الذي لم ينج بيته من النهب الا بواسطة مدافعة الضابطين الفرنساويين غير ان الحكومة الفرنساوية اعتذرت بعد ذلك الى هذا السفير عن هذه الاهانة .

ومع ان هيجان برلين كان أقل من هيجان باريز كان يظهر ما يبرهن على ان البروسيانيين كانوا يرغبون في قيام الحرب بقدر ما كانت فرنسا ترغب في ذلك وازدحمت جماهير كثيرة في اتناردن لندن وهو الشارع المبني بجانبه القصر الملوكي وكان القوم يعلنون بكل حرارة انهم يرغبون في ان يعضدوا الحكومة في السياسة التي تعول عليها لتنتقم من الذين أهانوا ملكهم و بلادهم

وهكذا كانت الامتان تعتقدان انه قد دنت الساعة التي طالما كانتا تنتظرانها وربما كانتا تخافانها وربما كان هذا الاعتقاد مما يرفع عنهما اثقال ذلك الانتظار المقلق الذي يسبق حوادث كهذه في مثل تلك الظروف وكان يظهر ان الامتين كانتا ترغبان رغبة واحدة في الحرب وكان كل منها يعتقد ان الفوز انما يكون له .

ومعلوم ان اهل هذا العصر الذي هو عصر تمدن واجتهاد يعتبرون الحروب شروراً مهلكة قاطعين النظر عن اعتقاد ابطال القرون القديمة بهذا الشأن ولذلك يلومون كل اللوم من أقام حرباً مالم يلتزم أن يقيمها للدفاع من ذمار لاغنى له عن الدفاع عنه ولذلك يقال ان الذين ابتدؤا في تكدير السلام في العالم المتمدن هم الامبراطور نابليون الثالث ووزراؤه لانهم هم الذين أشهروا الحرب على ملك بروسيا وأكثر الكتاب يقولون ان هذه الدولة الامبراطورية هي التي أتت بهذه الحرب التي كادت تضرم نيران الويل والهلاك في كل أوربا غير اننا اذا أمعنا النظر في الحوادث وتبصرنا فيها بالتأني نرى